الآراء الواردة في الصفحة تعبر عن وجهات نظر كتابها، وقد لا تتفق بالضرورة مع وجهة نظر الجريدة

اسلمة العلوم وادلجة المعرفة

(١ - ٣)

آية الله عمار ابو رغيف

اسلمة المعرفة الانسانية ظاهرة لها سياقها، شأنها شأن كل ظواهر الوجود والحياة، ولكي نفهم هذه الظاهرة، ونستوعب مداها، ونقف على طبيعة مضمونها لابد لنا من استيعاب السياق الذي جاءت فيه:

اسلمة العلوم ظاهرة بدت بوادرها في النصف الثاني من القرن الميلادي المنصرم، وقد جاءت نتيجة من نتائج الجدل الفكري الماركسي ـ الاسلامي. ومن ثم يتضح انها جاءت في إطار ماساقته الماركسية من اتجاه في ادلجة المعرفة، وعلى هذا الاساس عطف عنوان دراستنا (اسلمة العلوم) على سياقها (ادلجة المعرفة).

الفرض الذي نريد البرهنة عليه في هذه الدراسة يقول: (ان الايديولوجيا الماركسية طمحت الى اتخاذ المعرفة اداة ودعامة وسلاحا لرؤاها. وهذه طبيعة الايدلوجيات الاطلاقية، بماتدعيه من يقين وشمول واستيعاب وسلطنة على فهم الحياة والوجود والتاريخ، فهي تطمح ان يكون لديها علم نفس مؤدلج وعلم اجتماع واقتصاد وتاريخ، ولعلها تتجاوز إطار العلوم الانسانية في طموحها لتكون لها فيزياء وكيمياء مؤدلجة. وان مشروع اسلمة المعرفة يقع في هذا السياق. برغم مايتمتع به من خصوصيات).

لنبدا من التعريف بمصطلحاتنا، إذ الحدود والاصطلاح المعرّف يجنب البحث كثيرا من الجدل العقيم، ويساهم بشكل اساس في عملية التفهيم والايضاح، عسى ان ننأى بانفسنا عن الاشكاليات المزيفة، فنتذكر سقراط ومطالبته بالتحديد والحد المنطقي، ونكرر مع (جورج مور) الفيلسوف الانجليزي: ان كثيرا من المشكلات الفلسفية مردها الى مغالطات لفظية، فنكون ممن يستمع القول فيتبع احسنه.

الايديولوجيا

يقولون: إن المفهوم الحديث للايديولوجيا ظهر حينما وجد نابليون فئة من الفلاسفة﴿ الرافضين للمنهج الميتافيزيقي والساعين لاقامة العلوم الحضارية على قواعد انثربولوجية وسيكولوجية﴾ وجد نابليون هذه الفئة تقف موقفا معارضا لمشاريعه الاستعمارية، فوصفهم وصفا يتضمن الازدراء والاحتقار بانهم "ايدلوجيون" ولهذا السبب تشربت الكلمة معنى سيئا وغير لائق.

وفي غضون القرن التاسع عشر شاع استعمال الايديولوجيا بهذا المعنى السلبي ليؤكد من خلاله رجال السياسة والحكم جدارتهم وجدارة فكرهم بالنسبة لاساليب التفكير التاملية المنعزلة عن واقع الممارسة والتطبيق. ومن ثم اضحت الايديولوجية سمة تطلق على المفكرين النظريين ذوي النزعات التاملية.

وحينما جاء دور الماركسية اضحى مفهوم (الايديولوجيا) اشد التباسا، إذ استخدم التحليل الايديولوجي كاداة معرفية بيد الطبقة البروليتارية للكشف عن زيف منظومة الافكار الفلسفية والاحكام القانونية والتشريعات الاخلاقية التي تختفي وراء الطبقة البرجوازية وسلطتها السياسية،ومن ثم تكون (الايديولوجيا) حجابا امام الواقع،هذا الواقع الذي يتشكل ـ حسب الماركسية ـ وفق المعطيات المادية والاقتصادية. وما الايديولوجيات الا بنى فوقية تنتجها التحولات المادية، فهي شعارات مؤقتة، تعبر عن مصالح طبقية لاغير.

؟لقد استعمل ماركس وانجلز في كتاباتهم المبكرة كلمة ايديولوجية او عقيدة ليقصدوا العقيدة التي تحجب الواقع حصرا. وهذا هو المعنى المستعمل في (الايديولوجية الالمانية) المكتوب في ١٨٤٥, وعولجت الايديولوجية على انها نظام للاوهام، والافكار الزائفة...."افكار الطبقة الحاكمة..وللطبقة التي لديها وسائل الانتاج المادية السيطرة على وسائل الانتاج الفكري في عين الوقت، بحيث تكون على وجه العموم افكار المعوزين لوسائل الانتاج الفكري خاضعة لها".

وحينما تظهر طبقة ثورية جديدة لها افكارها الخاصة، فانها تطرح الايديولوجيا على انها تعمية للواقع.... ولكن ماركس لم يستعمل الايديولوجيا ليصف افكاره ذاتها، ولايستعمل الايديولوجيا كنظام من الافكار الشامل للافكار الاجتماعية لحركة الطبقة العاملة وبالتالي للاشتراكية العلمية الا في الادبيات الماركسية المتاخرة. ولينين يستعملها بهذا المعنى حيث يقول: ﴿ الخيار الوحيد هو: اما الايديولوجيا البرجوزاية واما الايديولوجيا الاشتراكية..وعليه فالانتقاص من الاشتراكية باية طريقة او الانحراف عنها باقل درجة يعني تعزيز الايديولوجيا البرجوازية﴾..

اذن فالمنظرون الماركسيون لم يالوا جهدا في طرح الايديولوجيا كسلاح للثورة العمالية. فاضحت الايديولوجيا في هذا الاطار مصطلحا اخاذا تتداوله ادبيات اليسار بوصفها الدعامة والسلاح والمسوغ النظري لوجودها وحركتها.

ومن ثم اصبحت الايديولوجيا في الاستخدام الشائع المتداول عبارة عن مدرسة فكرية محددة المعالم تلقن الادميين القيم والاهداف، وتحدد موقفهم ازاءهم الاحداث والاشكاليات لتضحى موجها لممارساتهم العملية. وقد سعى بعض المفكرين الاسلاميين الى ادلجة الدين، بالمفهوم المتقدم، لتتحول المفاهيم الدينية الى اسلحة يستخدمها الاسلاميون في صراعهم الراديكالي مع النظم الاستبدادية، بل لتكون هذه الايديولوجية برنامجا عمليا في عملية التغيير والبناء الاجتماعي والسياسي.

وفي إطار حديثنا عن ﴿ادلجة الدين﴾ يطرح الاستفهام التالي: هل يصح طرح الاديان ايديولوجيات؟ وهل الاسلام كدين يصح طرحه كايديولوجيا؟ ومتى طُرح الدين ايديولوجيا؟ وباي من معاني الايديولوجيا يمكن طرح الدين؟ هذه اسئلة يضئ بحثنا الحاضر بعض جوانب العتمة فيها، لكنها تشكل إشكالية رئيسية تتطلب بحثا ودرسا مستأنفاً.

على اية حال اضحت الايديولوجيا التي تقدسها قوى التغيير الجذري ودعاة الراديكالية مطعنا على يد قوى المجتمع المفتوح وتيار التفكيك المعرفي، بل هي من وجهة نظرهم اساطير الاولين، التي لاترتبط بالعلم والمعرفة برباط وثيق.

لقد اصر فيسلوف العلم المعاصر الراحل ﴿كارل بوبر﴾ في نقده لمبدا النمطية في تفسير التطور التاريخي على ان يعنون دراسته بـ﴿بؤس الايديولوجيا﴾، لان التفاسير النمطية للتاريخ اي التفاسير التي تضع التاريخ في مراحل متتالية، وفي إطار انماط اودوائر صاعدة ونازلة تختفي خلفها رؤى ايديولوجية. وهذه التفاسير من وجهة نظر بوبر تبتعد عن الصواب، وتتسم بالبؤس لانها تستند الى خلفيات بائسة،ومن هنا جاء نقد النمطية التاريخية لدى بوبر تحت عنوان ﴿بؤس الايديولوجيا﴾ ترجمة عبد الحميد صبره، دار الساقي،,١٩٩٢

ونحن هنا لسنا بصدد تقويم وجهات نظر بوبر ومعالجة الاشكاليات، التي تلابس وجهات النظر المطروحة في تفسير التاريخ وتحديد هوية الاجتماع الانساني الاكثر عقلانية، إذ ينصب بحثنا على ﴿اسلمة المعرفة﴾، وعلى وجه التحديد ينصب على ايضاح العلاقة بين اسلمة المعرفة وادلجة العلوم.

إنما نستطيع هنا ان نقرر قضيتين اساسيتين، نتخذهما مرتكزا لبحثنا المقبل:

القضية الاولى: ان الايديولوجيا بكل معانيها الايجابية والسلبية تمثل من حيث الجوهر احكاما قيمية وليست كشوفات ومعارف تصديقية، فالايديولوجيات وإن طرحت رؤى عقائدية وتصورات كونية، لكن اهدافها النهائية تتمثل في وضع قواعد للسلوك ومناهج للعمل، ومن ثم تتحدث عن ماينبغي فعله وعما لاينبغي فعله، فهي توجيهات عملية لسلوك الجماعات الانسانية بل لسلوك الكائن الانساني، وعلى هذا الاساس فهي لاتنتمي الى مقولة الكشف والحكاية عن الواقع، التي هي وظيفة العلوم. فالعلم يتحدث عن ماهو كائن. في هذا الضوء سيكون مفهومنا عن الايديولوجيا في المرحلة الاولى منصبا على جوهرها وغايتها القصوى، اي العنصر القيمي والتوجيهي، ثم نعود في مرحلة لاحقة للتركيز على الرؤى الكونية كعنصر من عناصر الايديولوجيات.

القضية الثانية: إننا لو سلمنا ببؤس الايديولوجيات في كشفها عن الواقع وفي قدرتها على بناء المعرفة ونظريات العلم فاننا لانسلم ببؤس الايديولوجيات في إثارة البحث العلمي، إذ ان تاريخ العلوم الانسانية على الاقل يشهد بوضوح على الدور الذي لعبه صراع الايديولوجيات في اثارة الاسئلة وتطوير نظريات العلوم الانسانية من اجتماع ونفس وتربية وتاريخ.

لنستمع الى راي الدكتور احمد ابو زيد إذ يقول:﴿ ليس ثمة مايبرر انتشار الراي القائل بان علماء الاجتماع (الوضعيين) في محاولاتهم معالجة الظواهر الاجتماعية...لايتاثرون بالايديولوجيات السائدة في عصرهم، بل الواقع عكس ذلك تماما... إنما نريد ان نقول ان النظريات الاجتماعية الكبرى التي ظهرت في اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين اخذت في اعتبارها بشكل او باخر الايديولوجية الاشتراكية الماركسية ودخلت معها في حوار يختلف بين اللين والشدة، بين القبول المتحفظ والرفض القاطع، ومحاولة التوفيق بين مختلف وجهات النظر. ومن هذه الناحية يمكن القول مثلما قال زايتلين ان الماركسية أدت دورا مهماً في تطوير النظرية الاجتماعية... من حيث استثمارها لكثير من وجهات النظر المعارضة والمناوئة التي ادت في اخر الامر الى قيام عدد كبير من مدارس علم الاجتماع ﴾.

الماركسية في جوهرها كما اشرت ايديولوجيا تستند الى رؤية كونية. لكن هذه الايديولوجيا الفريدة من نوعها سعت ان تكون علما، اي انها استندت في نقدها وتفسيرها للتاريخ والاجتماع الانساني والاقتصاد والنفس البشرية الى ما ادعته من قاعدة علمية. لكننا إذا نظرنا نظرة تحليل علمي الى طبيعة الفكر الماركسي نجد ان هذا الفكر في نقده لعلم الاقتصاد السياسي وتحليله لتناقضات راس المال وفي تفسيره للتاريخ وتحليله لقوى الاجتماع الانساني ونظرته للنفس البشرية كانت تحدوه رؤية كونية ومنظومة من المفاهيم الفلسفية والايديولوجية. اي ان الايديولوجيا سعت لتطويع المعرفة والعلم واستخدامهما اداةً لابراز حقانية ما تنادي به الماركسية من مطالب تتحدث عما ينبغي ان يكون عليه الاجتماع البشري والطريقة العادلة لحياة اقتصادية مثلى.

ماركس الذي اعتبر الايديولوجيا ﴿وجدانا كاذبا﴾ وحجابا امام رؤية الواقع العياني كان ايديولوجيا في طريقة تحليله للواقع. واية ذلك ان الماركسية تبنت مواقفا ترتبط بما ينبغي فعله وماهو حق في تحديد "القيمة" وطرح مفهوم (فائض القيمة) و(الملكية) ودور راس المال والعمل في تحديد مصير هذه المفاهيم في الحياة الاقتصادية، وماهو حق وماينبغي فعله يرتبط بالايديولوجيا حتى إذا تلمسنا له مسوغات في ضوء معطيات العلوم.

فعلم الاقتصاد الماركسي استند الى درس علمي للاجتماع الانساني إعتمادا على مايدعى بالمدرسة التطورية في علم الاجتماع، واتكا في تفسيره للتاريخ على اساس رؤية فلسفية ذات معطيات ايديولوجية، كل هذه العلوم سواء اكان الاقتصاد الماركسي او الاجتماع الماركسي وعلم التاريخ وفلسفته لم تنسلخ عن مواقف قيمية ايديولوجية.

لقد سعت الماركسية في تطوراتها اللاحقة الى تاسيس علم نفس ماركسي، بل علم فسلجة ماركسية، وهذا ماحصل بالفعل على يد عالم الفسلجة والنفس الروسي "بافلوف" حيث حاول الاخير ان يؤدلج علم النفس باخضاعه لمعطيات المادية الديالكتيكية والنظرة النمطية التطورية للاحياء. يحدوه في ذلك الموقف من الميتافيزيقيا ونظرتها للنفس الانسانية. وهذا موقف ايديولوجي بلاشك، لان العلوم لاتستطيع ان تفتي في قضايا الميتافيزيقيا. طبعا العلوم بمفهومها التجريبي، الذي تتبناه الماركسية.

وقد اسهم ستالين على صفحات (البرافدا) في النقاش الدائر انذاك حول مسائل علم اللغة السوفياتي. وفي هذا الصدد يقول ياكوب باريون: (والنقد الذي يمارسه على نظريات العالم اللغوي مار marr وتلامذته ينتهي به الى القول بان هؤلاء الباحثين ادخلوا في علم اللغة نظرات غير ماركسية) اي نظرات خاطئة في عرف ستالين... قد كشف النقاب عنها في مناقشات (البرافدا) فاصبحت المهمة المتبقية في ارساء دعائم الماركسية في علم اللغة. ان مقالة ستالين هذه ـ كما جاء في المقدمة التي وضعها لها معهد ماركس انجلز ولينين ـ تعطي المفتاح الى قيام (حل ماركسي صادق لمشاكل علم اللغة).

وليست الماركسية وحدها، فالعلوم الانسانية عامة تلابسها عناصر ايديولوجية. بل لعلنا لانبالغ بالقول ان مجموعة العلوم الانسانية ارتهنت في تطورها ونموها بالتحولات الايديولوجية التي توالت في المشهد الثقافي، بدءا من عصر التنوير ومرورا بالاتجاه ات النقدية والوضعية والمادية والبنيوية والتفكيك، بل مجمل التحولات المعرفية والسياسية والاقتصادية التي طرات على حياة الانسان الحديث.

لكن واقع العلوم الانسانية وماقامت به النظريات الايديولوجية من الخلط بين الرؤى القبلية الايديولوجية وبين المعرفة العلمية لايسوغ باي وجه من الوجوه الوقوع في إشكالية معرفية من حيث الاساس.

هناك من يرى ان الايديولوجيا تتسرب خفية وبشكل لاشعوري الى العلوم، وهذا ايضا لايسوغ الخلط بين مقامين مختلفين جوهريا. فالايديولوجيات ومذاهب الفكر تتحدث عما ينبغي فعله، عن ضرورة العدالة في التوزيع او عن التعادل الحر لنظام السوق، او عن ضرورة المساواة بين الرجل والمراة،وعن حق الملكية.. العلم يحاول اكتشاف ماهو قائم بالفعل، يتحدث عن آليات التوزيع في نظام محدد، او عن طبيعة العلاقة الواقعية بين الرجل والمراة، وعن الملكية كحقيقة قائمة في عالم الخارج، فالعلم لايتحدث عن الحقوق وماهو حق المراة ومصدر حق الملكية، بل هذا شان الايديولوجيات ومذاهب الفكر.

إن الماركسية اخطات خطا ذريعا شانها شان كل مدارس المذهب الطبيعي في الاخلاق حينما استنتجت القيم الخلقية والتشريع ومذاهب الحياة من طبيعة التحولات التي تطرا على علاقات الانتاج، بل على وسائل الانتاج على وجه التحديد. وسر هذا الخطا الذريع ان الماركسية تستنتج ماينبغي فعله مما هو كائن، وهذا الاستنتاج امر لايسوغه المنطق، ووقوع في إشكالية هيوم الشهيرة:﴿العبور من الواقع الى الواجب او العكس﴾.

لناخذ قانون "فائض القيمة" بوصفه اهم ركائز التحليل الماركسي لتناقضات الاقتصاد السياسي الراسمالي. فائض القيمة هو مایاخذه صاحب راس المال من قيمة السلعة الحاصلة جراء التبادل. فالقيمة التبادلية للسلعة ياخذ منها العامل اجره، وياخذ الفائض صاحب راس المال. إذ القيمة التبادلية للسلعة ـ وفي المفهوم الماركسي ـ تعادل قيمة العمل المبذول فيها، وبما ان الاجر الذي يتقاضاه العامل لايمثل قيمة عمله، الذي يعادل الناتج النهائي، سوف تكون ارباح الراسمالي فائضا عن القيمة النهائية للسلعة، وهي تمثل التفاوت بين القيمة التبادلية للسلعة، وبين الاجر الذي يتقاضاه العامل.

من الواضح ان قانون "فائض القيمة" يستمد كل مسوغاته من التفسير المذهبي الماركسي للقيمة التبادلية، إذ مالم نذهب مع ماركس الى القول بان العمل هو اساس القيمة التبادلية للسلعة لانستطيع ان نقرر ان هناك فائضا عن القيمة لايعود الى القوة التي خلقت هذه القيمة، بل يدخل في حوزة مالكي وسائل الانتاج.

إذا عدنا الى تحليل وتفحص العناصر الاساسية في نظرية فائض القيمة سوف نلاحظ كيف يتم الانتقال ممايينبغي الى ماهو كائن، من الواجب الى الواقع، وكيف تختلط الايديولوجيا بالعلم، ويتخذ من الايديولوجيات التي تنشد الواجب وماينبغي ان يكون قاعدةً لوصف الواقع، وسيكون وصفها غير مبرر منطقيا لان الواجب وماينبغي فعله لاينتج الواقع وماهو كائن حسب قانون المنطق.

حينما يقرر ماركس ان العمل هو جوهر القيمة التبادلية فهو ينطلق من الايديولوجيا، برغم انه يتحدث عن ظاهرة علمية واقعية، اي ينطلق مما ينبغي، من مفهومه عن العدالة في التوزيع، ولم ينطلق من استقراء تجريبي لماهو كائن. فالقيمة التبادلية للسلعة في نظام السوق ظاهرة موضوعية، يمكن التحقق من العوامل المؤثرة في تكوينها تجريبيا، اي ان علم الاقتصاد يمكنه ان يصف لنا الية تبلور القيمة التبادلية للسلع والعوامل المؤثرة فيها.

ولكن حينما نتحدث عن حق العمل وملكية الانتاج، وحق راس المال وسهم الادارة والابداع الفني والتنظيمي من الانتاج ومن القيم العائدة جراء تبادل السلع والخدمات فنحن نتحدث عن الواجب ومايمكن اعتباره، لاعن الواقع وماهو منجز بالفعل. فان الحق والملكيات والاسهم وطريقة توزيعها شؤون ترتبط بما يجب ان يفعل، ترتبط بتصورات عن العدالة وعن الحق والملكية، وهذه القضايا لاتكشف لكي تكون شان المجهر والمخبر والاستقراء والتجريب، بل هذه قضايا اعتبارية.ومفاهيم قيمية. ومن هذه المفاهيم القيمية واحكام المواضعة والاعتبار إنطلق كارل ماركس في تحليله واستنتاجه لاحكام الواقع وقوانين السوق الراسمالية وتناقضاتها الموضوعية. وفي هذا الضوء تنبا بانهيار النظام الراسمالي، لان فائض القيمة هو اساس تراكم راس المال، الذي هو اساس النمو الاقتصادي وزيادة الانتاج، وان الاجور المتدنية التي يدفعها الراسمالي للعمال للحفاظ على قوة عملهم وتوفير الحد الادنى من الكفاف لهم سوف تخلق لنا التناقض الرئيسي في النظام الراسمالي، حيث ان تراكم راس المال سوف يدفع الى زيادة الانتاج عبر الاستثمارات الراسمالية المتنامية، لكن انخفاض اجر العامل وعدم إمتلاكه للقيمة الحقيقية لعمله تفضي الى هبوط الاستهلاك، ومن ثم الى كساد الانتاج وانهيار المشاريع الراسمالية. وبهذا نستنتج احكام الواقع ﴿إنهيار الرأسمالية﴾ من احكام ماينبغي ومالا ينبغي ﴿القيمة التبادلية للسلعة﴾.

حينما نصف الراسمالي بانه سارق فقد خرجنا بهذا الوصف عن العلم، عن علم الاقتصاد، لان السرقة مفهوم غير علمي، بل هي مفهوم قيمي، لان السرقة تعني اخذ حق الغير،والتسلط بالعنوة على مايملكه الناس، والحق والملكية احكام تقررها شرائع الواجبات ولا تستنتج من وجود الكائنات. ومن ثم اختلف الناس اي اختلاف حول هذه القضايا، فالراسمالي من وجهة نظر المؤمنين بنظام السوق كقاعدة لتحقيق العدالة ياخذ حقه ولايسرق احدا. لان الاستثمار الراسمالي الحر من وجهة نظر بعض المؤمنين بنظام السوق هو الطريق لتحقيق التعادل الاقتصادي.

وحينما نغير زاوية نظرنا الى طريقة الماركسية في الاستنتاج نلاحظ انها تستنتج ماينبغي فعله مما هو كائن. بل الخط العام للتفكير الماركسي يبني استنتاج القيم والشرائع ومقاييس العدالة على القاعدة المادية الكائنة في عالم الخارج.

وفق التحليل المادي الديالكتيكي لتطور التاريخ تمسي قيم العدالة والحق والملكية والاخلاق بناء فوقيا وناتجا طبيعيا لتطورات وسائل الانتاج وقواه. فالقاعدة المادية تحدد شكل علاقات الانتاج، وتكون القيم والايديولوجيات ناتجا طبيعيا وانعكاسا حتميا لمصالح القوى المصيطرة على وسائل الانتاج. اذن فماينبغي فعله وماهو عدل وحق ناتج طبيعي مماهوكائن وقائم في عالم الخارج.

الاننا نعتقد ان التفسير المادي للتاريخ لم يستبصر ماهو كائن إستبصارا علمياً، من دون ا ن تحدوه رؤى ايديولوجية، لاتنتمي الى مقولة العلم والكشف عما هو كائن. وهذا الموضوع يستدعي بحثا مستانفا، لايسعه مجالنا، إنما يهمنا وضع اليد على الخطا المنطقي في الانتقال من الواقع الى الواجب.

حينما تقرر الماركسية ان احكام الملكية ونظام التوزيع وتداول الثروة ﴿التي هي مقولات عالم ماينبغي واحكام الشرائع والاعتبارت﴾ تحدد وفق احكام الواقع وتطورات وسائل الانتاج فهي تقرر ان الملكية الخاصة بشكل غير محدد امر مسوغ لان اساليب الانتاج وقواه راسمالية. اي لان اساليب الانتاج وقواه راسمالية إذن يجب اتباع قواعد الملكية الخاصة بشكل غير محدود. وهذا الاستنتاج غير منطقي، لان النتيجة نسق مخلتف تماما عن المقدمات. فالمقدمات تصف والنتيجة تلزم، فمن اين ياتي الالزام، وانى للوصف ان يتضمن إلزاماً؟

فاحكام الواقع وكشوفات العلوم تصف وتقرر ماهو كائن، وماهوكائن لايتضمن احكاما توجيهية وقيما عملية.عالم ماهو كائن مختلف عن عالم ماهو واجب، من دون ان يتعارضا. بل العلوم وكشوفاتها توضح مدى واقعية الاحكام والتشريعات العملية، وتوضح للفاعلين سبل وخيارات تجسيد وتطبيق الاحكام العملية. وهذا يعني اننا نقر بوجود علاقة وتاثير وارتباط بين احكام الواجب واحكام الواقع، دون ا ن نقر بمنطقية استنتاج احدهما من الاخر.

على اية حال، كانت الماركسية ايديولوجيا بالمفهوم الدقيق لهذه الكلمة، ايديولوجيا طموحة طموحا غير مشروع منطقيا، إذ انها ادعت إقامة مفاهيمها واحكامها العملية على اساس العلم والمعرفة العلمية.فطرحت علوما،واصرت على ان يكون العلم ماركسيا مؤدلجا. وبرغم كل نقاط الاختلاف العقائدية والمنهجية مع هذه المدرسة فاننا نعتقد ان نظام التفكير الماركسي اثّر تاثيرا واسع النطاق على ثقافة قطاعات واسعة من النخب، وشكل تحديا مباركا، إذ اثار البحث في جوانب حيوية واساسية، واحيا روح النقد المعرفي الجاد.

اجل ان نظام التفكير الماركسي باطلاقيته، التي لها طابعها الاخاذ في صراع الفكر يفرض على خصومه بعض معطياته. وهذا شان صراع الافكار عامة. فالفرقاء المختلفون مهما علت صيحات النقد السلبي بينهم ينجذب بعضهم الى بعض، فيما يرونه من نقاط قوة وتالق في الطرف الاخر. ومن ثم يصبح تكليفا ان نحلل عناصر الفكر الماركسي، ليتضح ماهو متسرب من هذا الفكر وماهو ليس كذلك. وهذا لا يعني رفض كل هذا الفكر، بل يعني على وجه التحديد تجنب الاخطاء التي يمكن ان تكون مهلكة في بعض وجوهها. وهذا امر طبيعي في حالة التطور الطبيعي للفكر، وقد مارسه الماركسيون انفسهم وحصلت تطورات وتعرضت الماركسية لتغييرات كبيرة، طبعا في عالم الغرب.

اما في هذا الشرق الذي لم يستفق بعدُ من سباته الطويل فالامر مختلف اختلافا بيّنا، إذ تتحول مذاهب الفكر بسرعة البرق الى سرقفليات ابدية. فالاسلام هو الاسلام الذي اقوله انا او حزبي او جهتي، والماركسية هي ديني وملك مؤسستي وحزبي، وتضحي الافهام البشرية حصونا مقدسة يقاتل المتحمسون حول اسوارها لتجني قوى من لون اخر ثمار هذا التقاتل المشؤوم.

نحن حينما نتناول الماركسية او اي مدرسة من مدارس الفكر الاسلامي اوغيره بالتحليل والنقد إنما نتحدث انطلاقا من ايمان عميق بان مذاهب الفكر ليست ملكا لاحد، إنما هي في التطور الطبيعي لنمو المعرفة البشرية ملك النقد والتجاوز والتصحيح.

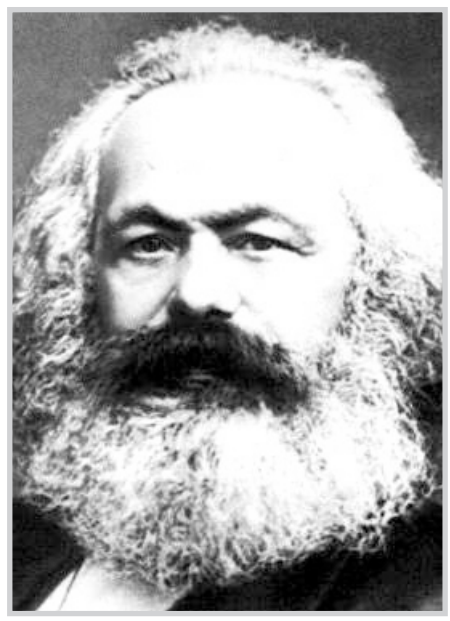
ماركس

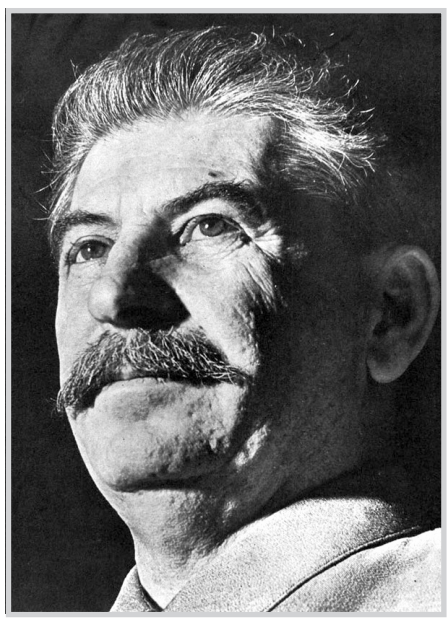
ستالين

اراء وافكار
Opinions & Ideas

ترحب آراء وافكار بمقالات الكتاب وفق الضوابط الآتية:

١ ـ لا يزيد عدد كلمات المقالة على ٧٠٠ كلمة.

٢ ـ يذكر اسم الكاتب كاملا ورقم هاتفه وبلد الاقامة ومرفق صورة شخصية له.

٣ ـ ترسل المقالات على البريد الالكتروني الخاص بالصفحة:

Opinions112@yahoo.com